الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي
بالشراكة مع كلية الآداب واللغات
والتعاون مع جامعة المنار - تونس
ومخبر الدراسات الاستشراقية الحماية اللغوية والاجتماعية

ينظم: الملتقى الحضوري وبتقنية التحاضر عن بعد

اللّسانيات المعرفية
وتطبيق مبادئ الذكاء الاصطناعي

رئيس الملتقى:
د. خديجة كلاتمة

رئيس اللجنة العلمية:
د. هشام بلخير

رئيس اللجنة التنظيمية:
د. يوسف نجعوم

يومي 12/11
فيفري 2025

الرئيس الشرفي للملتقى:
أ.د. زهير ديبي
المشرف العام:
أ.د. باديس سعودي

رئيس الملتقى:
د. خديجة كلاتمة
رئيس اللجنة العلمية:
د. هشام بلخير
رئيس اللجنة التنظيمية:
د. يوسف نجعوم

كتاب أعمال الملتقى
اللسانيات المعرفية
وتطبيق مبادئ الذكاء الاصطناعي

دار نوران
نؤمن أنّ الكتاب هويّة

نبضٌ أكاديمي
ونبشٌ إبداعي في ذاكرة الأرض
نختار منشوراتنا كما تُنتقى الجواهر بتأنٍ، وبعين عاشقة للعلم والأدب الأصيل، والفكر الحرّ، والتعبير النقيّ

باحترافية ـ جودة ـ سرعة ـ وبإتقان نوصل صوت الكاتب الحقيقي إلى قارئٍ لا يرضى إلا بالعمق، ونعيد بناء جسور الثقة بين الأقلام والعقول

تواصلوا معنا

دار نوران للنشر والتوزيع
المقر: طريق المطار تبسة_الجزائر
هاتف: 0659287323
nouranepublishing.s@gmail.com

ISBN 978-9969-579-69-7

دار نوران للنشر والتوزيع
المقر: طريق المطار تبسة_الجزائر
هاتف: 0659287323
nouranepublishing.s@gmail.com

كلية الأداب واللغات - جامعة أم البواقي
بالتعاون مع جامعة المنار - تونس
مخبر الدراسات الاستشراقية الحماية اللغوية والاجتماعية
أعمال الملتقى الدولي المنعقد يومي 11 / 12 فيفري 2025

اللسانيات المعرفية
وتطبيق مبادئ الذكاء الاصطناعي

تأليف: مجموعة من الباحثين

الرئيس الشرفي للملتقى
مدير الجامعة
أ.د زهير ديبي

المشرف العام
عميد كلية الآداب واللغات
أ.د باديس سعودي

رئيس الملتقى
د. خديجة كلاتمة

رئيس اللجنة العلمية
د. هشام بلخير

رئيس اللجنة التنظيمية
د. يوسف نجعوم

دار نوران
الطبعة الأولى: أكتوبر 2025

كلية الآداب واللغات - جامعة أم البواقي

بالتعاون مع جامعة المنار - تونس

مخبر الدراسات الاستشراقية الحماية اللغوية والاجتماعية

أعمال الملتقى الدولي المنعقد يومي 11 / 12 فيفري 2025

اللسانيات المعرفية وتطبيق مبادئ الذكاء الاصطناعي

المؤلف: مجموعة من الباحثين

الرئيس الشرفي للملتقى: أ.د. زهير ديبي

المشرف العام: أ.د. باديس سعودي

رئيس الملتقى: د. خديجة كلاتمة

رئيس اللجنة العلمية: د.هشام بلخير

رئيس اللجنة التنظيمية: د. يوسف نجعوم

الطبعة الأولى: 2025م

الإيداع القانوني: نوفمبر 2025م

ISBN:978-9969-579-69-7

الناشر: دار نوران للنشر والتوزيع

تسيير وإشراف عام: مرزوقي صفاء

تبسة - الجزائر

دار نوران

المقر: طريق المطار – تبسة - الجزائر

هاتف: 0659287323

nouranepublishing.s@gmail.com

ديباجة:

يذهب فرونسوا ريكنتي إلى القول أنّه: "إذا كانت اللغة تعتمد على استثمار الكلمات وتوظيفها من أجل بناء الجمل، فإن الفكر أو بالأحرى لغة الفكر تعتمد على استثمار المفاهيم وأحيانا إبداعها من أجل بناء الأفكار، وهذا التوليف الذي يحدث في سياق اللغة والفكر لا يعد مجرد رفض وتنضيد للكلمات والمفاهيم، بل هو تركيب نسقي في منتهى التعقيد لهذه الكلمات والمفاهيم"

لقد تمخض عن هذه القضية توجهات بحثية مختلفة بناء على اختلاف منطلقاتها الإبستيمولوجية والأدوات الإجرائية التي تتّخذها في مقاربتها للّغة، خاصة بعد الدّراسات البنوية والتوليدية التّحويلية؛ حيث لم يتم تركيز البحث حول علاقة اللغة بمستعملها، بل أصبح الاهتمام منصبّا أكثر على علاقة اللّغة بالإنسان من جهة، وعلاقتها بالوجود من جهة أخرى.

وهي قضية صارت تعرف انطلاقا من ملمح معرفي إدراكي، عرف مع مرور الوقت باللسانيات المعرفية، هذا المجال الذي يبحث في مسائل اللّغة المتعلقة بالذهن والإدراك، فينظر للّغة على أنها مجموعة من الأبنية التصوّرية التي تصلنا بالعالم بمختلف أبعاده المادية والمعنوية، وهي جسر تواصل بين الذات الفرد والكون؛ حيث لا يمكن للفرد أن يتصوّر العالم إلا وفق ما تصوره له اللغة، وهذا مابرّر ظهور مقاربات معرفية للخطاب باعتبار أن الخطاب معطى ثقافي معرفي اجتماعي وهي المقاربة التي أجراها فان دايك في كتابه الخطاب والمعرفية ما يعرف بعملية دمج نتائج اللسانيات المعرفية بنظرية تحليل الخطاب واستحضار المقتضيات التداولية والمعرفية.

ولم يظهر هذا التوجّه الجديد إلا بعد انتقال مبادئ العلوم المعرفية إلى علم اللغة الّتي تهتمّ بدراسة الذهن دراسة علميّة، وذلك بعد مؤتمر ماسي ، وما تلاه من مؤتمرات إلى غاية سنة 1953م،وقد سعى هذا المؤتمر إلى تبنّي برنامج حول العلوم المعرفية، والذكاء البشري والنظر في علاقة العقل البشري بالآلة، ومنه جاءت فكرة الذكاء الاصطناعي الذي يبحث في كيفية

جعل الآلة تؤدي عمليات محاكية لقدرات البشر، كما يقوم بفهم العمليات الذهنية المعقدة وترجمتها إلى ما يوازيها من عمليات حسابيّة، وقد استثمر الباحثون في مجال اللّسانيات المعرفية مبادئ الذكاء الاصطناعي فيما يعرف باللّسانيات الحاسوبية، وهي أحد أهمّ فروع اللّسانيات التطبيقية التي تبحث في مدى الاستفادة من معطيات الحاسوب في دراسة قضايا اللّسانيات بمختلف مستوياتها، وهو ما يظهر حاجة اللّسانيات لمبادئ الذكاء الاصطناعي.

إشكالية الملتقى:

تتمحور إشكالية الملتقى حول موضوع اللسانيات المعرفية وقضاياها المتنوعة، والكيفية التي انتقلت بها الدّراسات اللّسانية من البنوية والتوليديّة التحويليّة إلى البحث في اللسانيات المعرفية،وما واقعها في الدراسات العربية الحديثة، وكيف يمكن مقاربة ال كما أنّ علاقتها بالذكاء الاصطناعي قضية تطرح كثيرا من الأسئلة خاصة فيما يتعلق بعمليات البرمجة الآلية للغات؛ من حيث المنهجية المتبعة وتطبيق مبادئه من ناحية أخرى، كما يمكن طرح قضية أخرى هي مدى استفادة الذكاء الاصطناعي مما تقدمه اللسانيات النظرية البنوية واللسانيات المعرفية ؟

أهداف الملتقى:

- ضبط مصطلح اللسانيات المعرفية وتحديد مفهومها
- تحديد موضوع ومجالات البحث في اللسانيات المعرفية
- البحث في مفهوم الذكاء الاصطناعي
- تحديد علاقة اللسانيات المعرفية بالذكاء الاصطناعي
- دور الذكاء الاصطناعي في تنمية وتطوير اللغات واللغة العربية خاصة
- دور الذكاء الاصطناعي في تعليمية اللغات واللغة العربية خاصة

محاور الملتقى:

المحور الأول: اللسانيات المعرفية (المصطلح /المفهوم /المرجعيات)

- اللسانيات المعرفية المصطلح والمفهوم
- النظريات اللسانية المعرفية
- اللسانيات المعرفية في الدّراسات العربية الحديثة

المحور الثاني : اللسانيات المعرفية وتحليل الخطاب

- الخطاب والإبستيمولوجيا
- الخصائص المعرفية للخطاب في الدراسات العربية الحديثة
- تحديد الآليات الإجرائية لمقاربة الخطاب معرفيا
- نماذج تطبيقية في المقاربة المعرفية

المحور الثالث: اللسانيات المعرفية والذكاء الاصطناعي

- مفهوم الذكاء الاصطناعي وموضوعه
- مجالات الذكاء الاصطناعي
- العلاقة بين اللسانيات المعرفية والذكاء الاصطناعي
- دور الذكاء الاصطناعي في تعليمية اللغة واللغة العربية خاصة

المحور الرابع: اللسانيات الحاسوبية

- مبادئ اللسانيات الحاسوبية وموضوعها
- المصطلح واللغة المتخصصة والحاسوب
- طرق ومناهج حوسبة اللغة العربية
- الترجمة الآلية العصبية للغة
- الجهود العربية المقدمة في مجال حوسبة اللغة/ نماذج

اللجنة العلمية:

رئيس اللجنة العلمية: د هشام بلخير/جامعة أم البواقي

أعضاء اللجنة العلمية من داخل الوطن:

أ.د نسيمة نابي	جامعة أم البواقي
أ.د ثليثة بليردوح	جامعة أم البواقي
أ.د نعيمة السعدية	جامعة بسكرة
أ.د ليلى كادة	جامعة بسكرة
د. صالح بوترعة	جامعة أم البواقي
د. باديس لهويمل	جامعة بسكرة
د عمارقلالة	جامعة بريكة
د.شيخة حفناوي	جامعة أم البواقي
د.عبد الباسط سالم	جامعة أم البواقي
د.لغرام عبد الجليل	جامعة أم البواقي
د.بشيرجلول	جامعة أم البواقي
د. إسماعيل سويقات	جامعة ورقلة
د.جمعة مسعودي	جامعة أم البواقي
د. صالح زيتوني	جامعة أم البواقي

أعضاء اللجنة العلمية من خارج الوطن:

أ.د أزاد حسان حيدر	جامعة الموصل
أ.د محمد الحسين خليل	جامعة طر ابلس /ليبيا
أ.د هادي سعدون هنون	جامعة الكوفة/ العراق
أ.د عبد السلام عيساوي	جامعة منوبة/ تونس

أ.د عمارية حاكم	جامعة القصيم/ السعودية
د.خالد كاظم حميدي	جامعة الكوفة/ العراق
د. أسامة محمد سليم عطية	جامعةالقاهرة/ مصر

اللجنة التنظيمية

رئيس اللجنة التنظيمية: **د. سعيدة حمداوي**

أعضاء اللجنة التنظيمية:

د. عيطو لمياء
د.شهرة بلغول
د.دلال فاضل
د.سعيد قوراري
د. فوزي لحمر
د. سلمى أوكسل
د.حياة بركاني
د.سميحة خليفي
عليمة صالحي

فهرس المداخلات

304	جامعة باتنة	محاكاة اللغة العربية لآليات الذكاء الاصطناعي الفرص والتحديات	د. إيمان صيام	20
315	جامعة باتنة	الهندسة اللّغويّة للمعجم (الآليات والشروط والمشاكل والحلول)، نهاد الموسى وسلوى السيد حمادة نماذج	حياة بن طاقة	21
329	جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي	تحليل الحبسات الكلامية من منظور اللسانيات العرفانية: حبستي بروكا وفيرنيك أنموذجا	ط.د. محمد حسام الدين رحماني	22

الإحالة التصورية وأثرها في انسجام الخطاب

مقاربة عرفانية في خطاب (الذات) في "ينابيع الظمأ" لعدنان العوامي

أ.د. عبد العزيزعلي آل حرز
جامعة الملك الفيصل/ السعودية

مقدّمة:

يمثل مصطلح الإحالة التصورية مبحثًا جديدًا في فهم (الدلالة)، إذ تجعل من (التصوّر) ميسمًا يكشف عن ماهية الإحالة، فلم تعد العبارة اللغوية صادقةً فحسب إذا كانت تُحيلُ على شيءٍ في العالم الواقعيّ، بل اتجه البحثُ إلى كيفية فهم المتكلم لذلك الشيء في الخارج، أي إلى ما يُحيلُ عليه ذهنُه عند نطقه لتلك العبارة، وبتعبير أوضح، فإنّ مرجع الدلالةِ ليس كيانًا خارجيًّا، بل هو تصوّر المتكلم لذلك الكيان.

وإذا كانت الإحالة التصورية أعم من كونها بنية لسانية، فهي تكتنزُ بالبنى الثقافية والإيديولوجية وغيرها، فإنّ الخطاب لن يُنظرَ إليه بوصفه بنيةً لسانيةً فحسب، لأن النصوص أيضًا تنتج من الثقافة والبيئة والتجربة ومن "البنى الاجتماعية الأخرى، ومن الممارسات الاجتماعية في جميع جوانبها " (فاركلوف، 2009م، ص62)

إذن فالخطاب اللغويّ يجب أن تُستقصى فيه الجوانب المضمرة من البنى غير اللسانية، والبحث في أثرها في انسجام الخطاب، وذلك من خلال تتبع الإحالات التصورية فيه؛ ومن هنا فإنّ هذا البحث يسعى إلى اكتناه مفهوم انسجام الخطابِ وتقصّي دور الإحالة التصورية في عملية الانسجام. ويحاول الإجابة عن سؤالين مركزيين يمثلان عمدة البحث، وهما: ما انسجامُ الخطابِ، أو متى يُعدّ الخطاب منسجما؟ وما الإحالة التصورية؟ وعمدنا -في سبيل الكشف عن أثر الإحالة التصورية في الانسجام- إلى مقاربةٍ عرفانية في خطاب الذات للشاعر عدنان العوامي.

متى يُعدُّ الخطاب منسجمًا؟

يُعرّف الخطاب Discourse بأنّه "مصطلح عام يُطلق على الكلام المنطوق في النشاط التواصليّ، إذا تجاوز النصُّ الجملةَ الواحدة طولاً" (العصيلي، 2023م، ص419)، إلاّ أنّ تعدّد الجمل في النصّ لا يكفي لإضفاء صفة "الخطاب" عليه، مالم تتحقق فيه روابط اتساق وانسجام تجعل من تلك الجمل متماسكة متضافرة، فالخطاب لا يُعدّ خطابًا إلاّ إذا كان منسجمًا بالضرورة.

فالتماسك coherence ويُراد منه تماسك النص وتلاحم تراكيبه وتسلسل أفكاره تسلسلاً منطقيًّا. والترابط اللغوي cohesion حيث تكون العلاقات بين الجمل مترابطة، مثل علاقة الضمير وما يعود عليه وغير ذلك. (العصيلي، 2023م، ص ص244-245) كل ذلك يُحقّق انسجامًا بنيويًّا تركيبيًّا بين أجزاء الجمل والكلمات في النصّ. إلاّ أنّ هذه العلاقات التركيبية والمنطقية ليست كافيةً -أيضًا- لتحقيق الانسجام في الخطاب، لأنّ المعنى في الخطاب يتجاوز البنية التركيبية البنيوية إلى ما هو خارج اللغة.

وهذا يعني أنّ قواعد تركيب الخطاب Discourse Grammar ليست لغويةً فحسب، بل هي القوانين التي تربط بين أجزاء الجمل وهي قواعد لغوية ونفسية واجتماعية. (العصيلي، 2023م، ص 421) وفهم الخطاب وتحليله ليس منغلقًا على النصّ ذاته، بل ينفتح على أدوات التأويل النفسية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

وإذا كان تحليل الخطاب Discourse Analysis-لدى بعض التيارات النقدية التقليدية- منغلقًا على التحليل النصي، كما تتجه إلى ذلك البنيوية، فإنّ دراسات ما بعد النقد البنيوي انفتحت على السياقات والتضمينات التي هي خارج النص؛ مما وصل بتحليل الخطاب إلى نظريات تداولية كنظرية أفعال الكلام، ليبحث في الاستدلالات أو التوقعات الدلالية، وإلى السيمياء أيضًا ليبحث في القواعد والأعراف التي تحكم إنتاج الدلالة (الرويلي والبازعي، 2002م، ص155)

فقد كان تحليل الخطاب التقليدي يُعنى بتحليل أبنية الجملة ومكوّناتها ومعرفة أثر اختيار الكلمة والأدوات والضمائر والعلاقات بين الجمل وغيرها، ويُعتَقد أنّ زاليغ هاريس هو أوّل من طبق هذا المنهج في الدراسات اللغوية الحديثة في الخمسينات من القرن العشرين. (العصيلي، 2023م، ص ص419-420) إلاّ أنّ الدراسات العرفانية أضافت إلى الجانب

اللغوي في الخطاب أهمية دور المؤوّل في فهم إحالاته، وبنيته التركيبية، وبحثت في الكيفية التي أنشأ فيها المُتكلم خطابه وكيفية اشتغال ذهنه.

ولأنّ الخطاب يدلُّ أيضًا على أمثلة واقعية من الكتابة أو الكلام تم إنتاجها وتأويلها في ظروف معينة ولغايات معينة. (سمينيو، 2013م، ص21)؛ فإنّ تأويل الخطاب وتحليله يجب ألاّ يقف عند حدود البنية التركيبية فحسب، بل يبحث أيضًا في علاقة الخطاب بالبيئة والثقافة والتجارب الاجتماعية، وفي الطريقة التي استعمل فيها منشئ الخطاب كلامه؛ حتّى يتبيّن لمحلل الخطاب تلك الغايات والاقتضاءات الاستدلالية المتضمنة في النص، ليتضح له مدى انسجام الخطاب.

فالخطاب هو أن يتحقق الانسجامُ، والانسجامُ هو السمة الأهمّ في الخطاب، فلا تُعدُّ متواليةٌ من الجمل خطابًا إلاّ "إذا وفقط إذا كانت منسجمة" (روبول وموشلار، 2020م، ص86)، وبانعدام الانسجام يخفق الخطاب في أن يكون خطابًا متماسكًا.

ولكن كيف يمكن لنا اكتشاف مدى انسجام الخطاب؟ هل يتطلّب ذلك تحليل كامل الخطاب وجميع الجُمَل الواردة فيه؟ نجد إجابةً لدى بعض الباحثين مثل شارول وكومبيت حيث من آرائهم في الخطاب أن القواعد الخطابية تنطبق بمجرد وجود سلسلة مؤلفة من جملتين. (روبول وموشلار، 2020م، ص96) أي إن انطباق القواعد الخطابية على سلسلة مؤلفة من جملتين تكفي لاستخراج القواعد التي تنطبق على متواليات أطول. ولعلّ ذلك يترجّح وفق المنظور العرفاني إذا علمنا أنّ البنية الذهنية هي بطبيعتها تحقق انسجامًا ذاتيا في فهم الأشياء.

لذلك لا يمكن الركون للنظرة التقليدية حول الانسجام من كونه يمثل خصيصة ذاتية داخلية في النصّ فحسب. فالدراسات النفسية العرفانية استطاعت أن تنقل الانسجام من كونه نصيّا يقع بين وحدات النص مدلولاً عليه بقرائن وقوانين تماسك واتساق ومؤشرات لغوية في التناول اللساني التوليدي والبنيوي، إلى كونه عملاً ذهنيًّا، فالانسجام كائن في التمثيل الذهني لا في المنجز اللغوي، إذ إن الخطاب يُعدّ منسجمًا ما كان تمثيله الذهني منسجمًا. (الزناد، 2011م،ص 49، 54) فالانسجام في الذهن يحقق انسجامًا في اللغة والخطاب مهما كان الخطاب طويلاً، ومهما تباعدت أزمنة الخطابات لدى متكلم.

ثمّة إشكالٌ يردُ حول ما ادّعاه محلّلو الخطاب التقليديين من أن الخطاب لا يُعدّ منسجمًا إلا إذا تقيّد بقواعد الخطاب النحوية والتركيبية، وكلّما اتسمَ الخطابُ بعلامات اتساقٍ مثل الضمائر والحذف والتكرار والروابط التداولية وغيرها، عُدَّ منسجمًا. والإشكال هو أن هذه العلامات الاتساقية قد تكون في جمل ليس بينها انسجام.

وقد حاول غيرُ واحدٍ من الباحثين إنشاء نماذج تتضمن متواليةً من الجُمل تنطبق عليها علامات الاتساق والروابط وغيرها، لكنها لم تُحقّق الانسجام في النص (يُنظر: الزناد، 2011م،ص 50)، فليس وجود تلك الروابط والإحالات الضميرية كافية لانسجام الخطاب.

والجدير بالذكر أنّ نظرية المناسبة العرفانية لسبيربر وولسون حاولت أن تُوجد حلاً لمشكلة الاتساق والانسجام، ورأت أنّ الخطاب ليس جُملاً تضمّنت علامات اتساقٍ فحسب، بل هو ظاهرةٌ تداوليّة، ويُمكن أنْ يُختَزل في الأقوال التي تُكوّنُه، أي في تأويلاتِ المتلقّين لتلك الملفوظات في الخطاب. فالخطاب إذن ليس سوى سلسلة من الأقوال التي بمجموعها تُكوّنه، عبر تأويلات مقاصدها.

ذلك أنّ تأويلَ خطابٍ ما يعني نسبةَ مقصدٍ إخباري للقائل، ولكن هذا المقصد يجب أن يتصلَ بمجموع الأقوال التي تُكوّن الخطاب المعنيّ. فالمقصد المتصل بالقول وهو المقصد الموضعي، والمقصد المتصل بالخطاب هو المقصد الإجمالي، حيث يقوم تأويل الخطاب على نسبة المقصد الإجمالي إلى قائله. أي نسبة مجموع المقاصد الموضعيّة إلى القائل.

وكلّما سَهُل بناء هذا المقصد الإجماليّ، (أي كلّما كانت كُلفة البناء أقل)، كانَ المقصد الإجمالي ثريًّا مركبًا وازداد الاقتناع بالحكم على الخطاب المعنيّ بأنّه منسجم. (روبول وموشلار، 2003م، ص ص210-217)

ومقتضى ما تذهب إليه نظرية المناسبة في انسجام الخطاب، أنّه إستراتيجة المؤوّل، أي أنّ الانسجام يقع في أذهان المؤوّلين، وذلك عند اكتشاف المقاصد الموضعية ونسبة مجموعها إلى القائل وفق عملية استدلالية من خلال ما تكشف عنه سياقات الإحالات في الخطاب.

إذ إن نظرية المناسبة تكشف عن فهم جديد لانسجام الخطاب، من خلال تأويل الأقوال واكتناه كيفية استعمال الكلام، حيث تندرج هذه النظرية ضمن اتجاه التداولية العرفانية، ولها مركزية في عمليتي تأويل الأقوال وتلقّيها، وملخّص هذه النظرية أنها تقوم على فكرة (المردود) أو العائد، من خلال شرطَيْ (التأثير السياقي)، و(الجهد العرفاني الذهني)، حيث

تزداد درجة إفادة/مناسبة الأقوال كلما ازداد حجم التأثير السياقي، وقلّ الجهد الذهني. (سبيربر وولسون، 2016م، ص222) وبناء على ذلك فكلّما قلّ الجهد في اكتشاف المقاصد الإجمالية ونسبتها للقائل، ازدادَت قوة الانسجام في الخطاب، والعكس صحيح، فكلما صعُب اكتناه المقاصد الإجمالية ونسبتها للقائل، ضَعُف الانسجام.

فانسجام الخطاب يكمن إذن في التأثيرات السياقية للمقاصد الموضعية أو الإحالات التصورية المتّسقة، وهذا ما يُعنى به هذا البحث من كشفٍ لأهميّة دور الإحالات التصورية في عملية انسجام الخطاب، فهل الإحالة التصورية هي عملية تطابق ما بين اللغة والواقع أو هي تماثل ما بين اللغة والتمثيل الذهني؟ وكيف يحقق هذا التمثيل الذهني انسجامًا لغويًّا؟

ما الإحالة التصوّرية؟

ذهبت الفلسفة الواقعية إلى أن كل معارفنا هي مجرد تفصيل لما تبدو لنا به الأشياء – بحسب رأي ديفيد هيوم-، وأنّ الخبرة تكون مستحيلة ما لم تكن هناك حقيقة واقعية مستقلة عنا،-كما ذهب إلى ذلك كانط- ففي رأيه هناك عالمان: عالم حقيقي، وعالم ظواهر، ومعرفتنا مقتصرة على عالم الظواهر. (ورين، 2017، ص36) والإحالة وفق هذه الفلسفة ليست سوى إحالة على ما هو خارجيّ، أي أنّ معارفَنا هي انعكاس لعالم الظواهر ولما تبدو به الأشياء.

غير أنّ هذه الفلسفة نقضتها العرفانيّة وبرهنت على أنّ كثيرًا من تصوراتنا المجردة هي استعارية لا واعية (لايكوف وجونسون، 2016م، ص37)، أي أنها ليست تماثلاً للواقع أو لعالم الظواهر، بل هو تصوّرٌ ذهني وتمثيلٌ لما هو في الخارج.

والإحالة -لدى هاليداي وحسن – تنقسم إلى قسمين: الإحالة المقامية، والإحالة النصّيّة، حيث تُسهم الإحالة المقامية بربطها المقام بالنص في عملية الاتساق، إلاّ أنّها لا تكون كافيةً ومن ثمّ يجب أن تكون الإحالة النصيّة ذات أثر فعّال في اتساق النص. (خطابي، 1991م، ص ص17-18) وهنا نجد أنّ الإحالة المقامية والنصيّة لا تخرج عن إشكالية تماثل اللغة للواقع؛ وذلك لأنها لم تبحث في كيفية نشوء تلك الإحالات واشتغال ذهن المتكلم، وإنّما عُنيت بالظرف المقامي والتماسك اللغويّ، وهذا مما لا يحقق الكفاية التفسيرية لمفهوم الإحالة.

فالمتلقّي يبني (طريقةً في تصوّر الخطاب)، أي يفسّر الخطاب من خلال تجاربه ومدركاته وتصوراته الذهنية، حيث يمكن التمييز بين ما هو موجود عينيّ في الخارج وبين ما هو متصوّرٌ ذهنيًّا، أي بما يمكن وصفه بالتصوّر الذي في ذهن الإنسان عمّا هو موجود في الخارج. وحين يتلقّى الفردُ خطابًا ما، فإنّه يبني له تصوّرًا حوله، ويُحيل على تجربته الخاصة في العالم؛ ممّا يكوّن له تصوّرًا حول تلك التجربة. (براون ويول، 1997م، ص ص246-247)

وإنّ طريقة تصوّر الخطاب لا تتمّ إلاّ بمعرفة الإحالات وإسنادها في مجموعها إلى القائل -وفق نظرية المناسبة- حيثُ يقوم المؤوّل/المتلقي في ذلك بالإحالة على تجاربه وتصوراته لما هو موجود في الخارج، وهذا ما أكّد عليه العرفانيون مثل جاكندوف حيث أشار إلى أنّ الإحالة أو المعلومة التي تنقلها اللغة لا تهمّ العالم الحقيقيّ، أي إنّ اللغة ليست انعكاسًا مباشرًا لما هو في الخارج، بل هي تُحيل على العالم المُسقَط في الذهنِ، وليس لدينا مدخلٌ واعٍ إلاّ للعالم المسقط، كما يُنظّمه الذهن بطريقةٍ لاواعية، ولا نستطيع الحديث عن الأشياء إلا إذا كان لها تمثيل ذهنيّ. (جاكندوف، 2010م، ص87)

والمراد من العالم المُسقط هو العالم الذهني الوسيط ما بين اللغة والخارج، أي أنّ (اللغة) المعلومة اللغوية تحيل على الذهن وتصوراته (العالم المسقَط) حول ما هو موجود في الخارج (الواقع). وهذا يعني أنّ الإحالة على الأشياء هي تصورية ذهنية وليستْ صورة طبق الأصل لما هو في الخارج، بل نحن نُحيل على مُدركاتنا حول الأشياء التي تمثّل ذلك الشيء في الخارج.

إلاّ أنّ ثمةَ إشكالاً قد يرد هنا، وهو إذا كانت الإحالة تأويلية وليست واقعية صرفًا، فإذن ما الذي يضمن فهم اللغة بصورة صحيحة، إذا كان الأفراد مختلفين في الفهم والإدراك؟ وهذا الإشكال تنبّه إليه العرفانيون وقد حاول جاكندوف مثلاً أن يوجد له حلاً، فبيّن أنّ إجراءاتنا التنظيمية للعالم المسقط في الذهن لها بعدان فطري محدد البناء، وهذا يتساوى فيه جميع البشر، وبيئي موروث يختلف فيه الأفراد بحسب إدراكاتهم وتجاربهم، ولأنّنا بشرٌ لنا بنية ذهنية متماثلة يمكن أن يضمن ذلك أن تكون إسقاطاتنا متساوقة في أغلب الأغراض، ويمكننا أن نحقق قدرا معقولا من التفاهم، ما بقينا منتبهين للكشف عن حالات سوء الفهم. (جاكندوف، 2010م، ص ص88-89)

فالتأويل للإحالات والمقاصد الموضعية في الخطاب وإن كانت راجعة لمدركات المتلقي وتصوراته إلاّ أنّها ليست عائمةً دون حدود يمنع من وقوعها في الشطط التأويليّ، بل إنّ

التمثيل الذهني للإحالات يصدق أن يُطلق عليه التمثيل الاستدلاليّ، ولا يتم هذا الاستدلال إلاّ عبر توافر معلومات عدّة لسانية وحسّية وموسوعية.

وقد اقترح روبول وموشلار مفهوم التمثيل الذهني لمقاربة الإحالة، إذ إنّ هذا المفهوم يمثل نقطة وصل بين الواقع الذي تنتمي إليه المراجع وبين اللغة التي تنتمي إليها العبارات الإحالية، ويتخذ التمثيل الذهني نسقًا معيَّنا حيث يتطلّب لمعرفة موضوع ما أن يضمّ كل المعلومات عن هذا الموضوع، وهي: (روبول وموشلار، 2020م، ص ص 188-190)

1- العنونة، وهي المفهوم أو اسم التمثيل الذهني

2- المعلومات اللسانية، وهي المدخل المعجمي.

3- المعلومات الموسوعية:

أ. استدلالات مَقوَلية، تُميّز فئة الموضوع عن غيره

ب. معلومات خاصة تميز الموضوع عن غيره من الموضوعات.

4- المعلومات المنطقية، المدخل المنطقي والعلاقات المنطقية.

5- المعلومات المرئية، المدخل البصري.

6- المعلومات الفضائية، المرتبطة بالوضعية الفضائية الجهية.

لذلك وإن تعدّد المتلقون للخطاب واختلفوا في تأويل الإحالات فثمة ما ينأى بهم عن سوء الفهم والخطأ، إلاّ أنّ الخطاب أكبر من التأويل؛ لذلك فإنّ اختلاف التأويل أمر واردٌ عقلاً؛ لأنّ الأفراد يختلفون في المدركات والتصورات والتجارب، وقد تتعدد زاوية النظر فتتعدد التأويلات. وقد اقترح سبيربر وولسون فكرة البيئة العرفانية، ومفادُها أن جماعة من الناس تعيش ضمن محيط ماديّ واحد، ولديهم معلومات مشتركة داخل تلك البيئة، لكن تكون لديهم قدرات إدراكية مختلفة ينتج عنها اختلافٌ في التمثيلات الذهنية. (سبيربر وولسون، 2016م، ص80) إذ إنّ ثمة تمثيلات ذهنية تأثرت بالبيئة الإدراكية لمجتمع ما، وأخرى تمثيلات خاصّة بالفرد.

وإنّ الإحالة الذهنية التصورية بوصفها تمثيلاً ذهنيًّا هي عملية تأويلية تكشف عن الكيفية التي فهم من خلالها المتكلم الأشياء في هذا العالم، ومدى تأثر تمثيلاته بالبيئة الاجتماعية، والثقافة والتجارب الذاتية. ويبيّن انسجامُها في الخطاب انسجامَ الذهنِ في ترميزه للأشياء.

إلاّ أن فهم المتكلم للأشياء وفق نسقية ذهنيّة تحيل شيئًا على شيء آخر، يجعل من التساؤل التالي مشروعا: هل الإحالة نسق استعاريّ؟

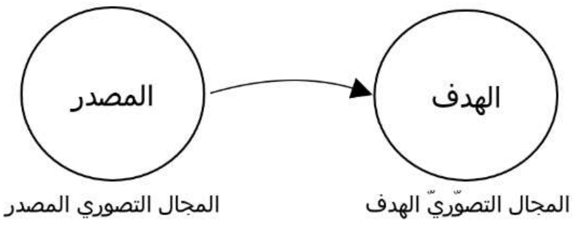
الإحالة التصورية والنسق الاستعاري:

ما نتوخّاه من مفهوم الإحالة هنا هو ما يتجاوز المعنى المعجميّ الضيّق، لينفتح على المعاني الثانوية التي انبنت من خلال عدة عوامل بيئية وثقافية، لذلك فإنّ مرجع الإحالة الذي نعنيه هنا هو ما يُؤوّله المتلقّي وفق قوانين تجنبه الوقوع في الشطط التأويليّ، فالدلالة غير المرجعية sense وهي التي تكون في ذهن المتلقي، (العصيلي، 2023م، ص1285) هي دلالة استعارية مجازية حتمًا لأنّها خاضعة للتأويل، من قبل المتكلم لأنه يُعبر بكيفية خاصة عن هذا العالم، ومِن قبل المتلقي لأنه يؤوّل عبارات المتكلم.

إذ تتسمُ الإحالة التصوّرية بكونها "علاقة بين التعابير اللغوية وبين تأويلات المتكلمين للعالم الخارجي"، (غاليم، 2010م، ص21)، وذلك لأنّ المتكلم يعقد تشابهات وروابط بين أجزاء قد تبدو في ظاهرها متباعدة، فيجعل من الطفل قمرا مثلاً، حيث يُحيل مجالًا فيزيائيا (القمر) على مجالٍ آخر (الطفل)، إلاّ أنّ المتكلم والمتلقي يتشاركان في فهم عملية الإسقاط/الإحالة، وأنْ ليس المراد من ذلك بنينة جميع خصائص القمر وإسقاطها على الطفل، فالمتكلم لا يريد سوى صفة الجمال والنور، ولا يقصد مثلا الاستدارة والجمود.

ووفقًا لذلك فإنّ عملية الإحالةِ هي نسق استعاريّ، لأنّ النسقية التصورية تسمح بالقبض على مظهر من مظاهر تصورٍ ما عن تصورٍ آخر، وتُخفي مظاهر أخرى في هذا التصور. (لايكوف وجونسون، 2009م، ص29) فالإحالةُ هي عملية إظهار وإخفاء، ولا بدّ من متلقٍّ واعٍ يستطيع قبض المظاهر التصورية المتوخّاة.

وقد برهنت الدراسات العرفانية على أنّ نسقنا التصوّري الذي يُسيّر تفكيرنا هو نسق استعاريّ بالأساس (لايكوف وجونسون، 2009م، ص21)، والإحالةُ هي أجلى مصاديق التصوّر الذهني؛ ذلك لأنّها تقبض على مظهرٍ تصوري لمجالٍ ما من خلال مجال آخر، وهذا القبض هو ما يُعرف بالإسقاط الاستعاريّ، حيث إنّ الاستعارة التصورية هي مجموعة تطابقات أو إسقاطات بين مجالين (المصدر source)و (الهدف target)، حيث يتحقق فهمنا للمجال1- الهدف، الذي هو مجرد أو أكثر تجريدًا، من خلال فهمنا للمجال2- المصدر



فالإحالةُ هي بنينة لغوية من خلال إسقاط مظاهر تصورية من المصدر على الهدف، وهذه البَنينةُ هي في جوهرها تمثيلٌ ذهنيّ يُعرف بمصطلح (المقولة) categorization حيث يُمقول الذهنُ أشياء وكيانات وفقًا للنسقيّة الاستعاريّة، وتنبني هذه المقولة بصورة لا واعية وتقوم بربطٍ بين الأشياء في الخارج والدلالة التصورية، إذ إن "المقولة هي عملية عقلية تجعل من أفكارنا ومداركنا وحركاتنا وكلامنا عبارة عن أنشطة ذهنية تقوم على مجموعة من الإسقاطات التي تربط بين سمات الواقع وسمات الدلالة، وهي الإسقاطات التي تدفع نحو التوحيد بينهما لبناء المقولة. تنظيم المعنى هو عملية ذهنية تقوم على الترابط الكائن بين سماتِ الواقع والسمات الدلالية" (الحسني، 2020م، ص30)

ولعلّ من أهمّ وظائف الإحالة التصوريّة أنّها تكشف عن مدى انسجام الذهن، وعن كيفيّة تنظيمه للأشياء والمفاهيم، غير أنّ هذا التنظيم الذهني لا يتم إلاّ بواسطة بنيات تُسمّى النماذج العرفانية المؤمثلة Idealized cognitive model، وهذه النماذج مُبَنيَنة بواسطة أربعة مبادئ: (البوعمراني، 2009م، ص79)

1- مبدأ البنى القضوية: ما يحقق خاصيات مشتركة بين أجزاء المقولة
2- مبدأ بُنى الصور الخطاطية: وهو يُدخل الصور الذهنية في تمشي المقولة.
3- مبدأ التوسّع الاستعاري.
4- مبدأ التوسّعات الكنائية.

وقد تشترك بعض هذه المبادئ داخل مقولة واحدة، أي في عملية إحالية متعددة المصادر لهدف واحد، فنستخدم مثلاً مبدأ استعاريا قضويّا ذا خطاطة تصورية، فتتعدد الاستعارات لتصور واحد، ويكون بينها روابط استلزامات قضوية implication [1]

[1]- الاستلزام: هو التضمّن، أو المعنى الضمنيّ. ينظر: (العصيلي، 2023م، ص704)

أمّا عن كيفية الإسقاط الإحاليّ، أي كيف تتم عملية إسقاط المصدر على الهدف؟ فقد سطّر «لايكوف» مبدأً عامًّا يحكم فكرة الإسقاط، في قوله: "تُستَعمل المقولاتُ العُليا في الإسقاط المفهوميّ ما بين المجالات؛ ذلك أنّ مستوى المَقولة الأعلى يتضمَّنُ المعلومات الشاملة بوجهٍ يضمنُ إسقاطًا أكثر ثراءً من المجال المصدر على المجال الهدف، بما يتضمّنه من معلومات عن المستويات الأساسيّة أو الدنيا من المقولة" (الزناد، 2010م، ص146) فالإسقاط الإحاليّ يمنح الدلالة التصورية ثراءً أكثر، أي إن المعنى الذي يُنشئه الذهن ويُسقطه ليس معنى معجميًّا فحسب بل هو معنى موسوعيّ، حيث إن الذهن قد يرسم مجال الهدف من خلال سماتٍ من المجال المصدر الذي قد لا يكون قريبًا نوعًا ما من المجال الهدف.

ومن ثَمّ فلعلَّ الزعمَ بأنّ الإحالة التصورية هي فهمٌ جديدٌ للدلالة التصورية ليس مجانبًا للصواب، ذلك لأنّ دراسة الإحالةِ التصورية يلزم منها البحثُ في ماهية الدلالة أوّلاً، مما يُفضي إلى رفض النظرة التقليدية التي تجعل من الدلالة تمثيلاً حقيقيًّا واقعيا لما هو في الخارج. فثمّة مبادئ توجّه الدلالة العرفانية التصورية نحو مسار خاص يميّزه، - وقد بيّنها الباحثان «إيفانز» (Vyvyan Evans) و«جرين» (Melanie Green) - وتلك المبادئ: 1- البناء الدلالي هو بناء تصوري، 2- البنية التصورية هي بنية متجسدة، 3- المعنى موسوعي، 4- تأويل المعنى من طريق التصوّر (إيفانز وجرين، 2017م، ص ص79-85) وكما يتجلى من هذه المبادئ أنّ الدلالة التصورية تُحيل على كيفية فهم الذات المُتصوّرة من خلال التجربة الجسدية والخيالية الاستعارية.

إذن فالإحالة التصورية بوصفها إسقاطًا يقوم فيه الذهنُ بفهم مجالٍ من خلال مجالٍ آخر، فإنّها -غالبًا- تكون استعاريّة تصوّرية، أي أنّ الإسقاط فيها يتمّ بصورةٍ آلية وفق مبادئ معينة، حتى وإن كان العالم المُسقَط مَدخلاً واعيًا، فإنّ تنظيمَ الذهنِ لهذا الإسقاط ينشأ بصورةٍ لا واعية.

إلاّ أنّ التساؤل المهم هنا هو كيف لنا أن نستدلّ على انسجام الخطاب من خلال تلك الإحالات التصورية الواردة فيه؟ أو بتعبير آخر كيف للإحالات التصورية أن تجعل الخطاب منسجما؟

الانسجام الذهني انسجام للخطاب:

بدا لنا آنفًا أن الذهن يُحيل بوساطة اللغة على الأشياء في هذا العالم الخارجيّ عبر نسقية استعارية، أي إنّ الإحالة استعارية -غالبًا-، وقد أولى العرفانيون أهميّة بالغة للاستعارة، بل عدّوها نسقًا ذهنيًّا يتحكم في البنينة الذهنية؛ لأنّ الذهنَ لا يفهم الأشياء في كثير من الحالات إلا بالاستعارة، ويُصنّف ويُمقولُ عبر مبدأ استعاريّ لاواعٍ في أغلبه؛ مما يجعل الذهنَ أكثرَ انسجامًا في ترميزه للأشياء بصورة آلية.

إذ يُعدّ من أهم وظائف الاستعارات كما يرى العرفانيون أنّها تشكّل أنسقة منسجمة نبني بوساطتها تصورنا عن تجربتنا. (لايكوف وجونسون، 2009م، ص59) فنحن لا نستطيعُ أن نفهم تجاربنا في هذا العالم الخارجي إلاّ عبر نسقٍ استعاريّ إسقاطيّ إحاليّ، فنحيلُ على كياناتٍ في الخارج وفق تصوراتنا، ونُمقول الأشياء ونصنفها بناء على تشابهات يعقدها الذهن بين أجزائها، حيث تبحث العرفانية في الكيفية التي يستعمل الناس فيها تعبيراتهم اللغوية للإحالة، "وهم لا يستطيعون الإحالة إلا على الأشياء التي تصوّروها " (جاكندوف، 2019، ص265)، وهذا يعني أنّ الإحالات اللغوية هي في أساسها إحالاتٌ تصوّرية أي أنّ اللغة هي تمثيل ذهني.

ومن هنا فإنّ الدراسات العرفانية اليوم أسهمت في بلورة فهمٍ جديدٍ لتحليل الخطاب، فهو لم يعُد منغلقًا بنيويًّا، ولم يقف عند مقاصد المتكلم تداوليا فحسب، بل غدا النظر يتجه -أيضًا- إلى كيفية اشتغال الذهن في استعمال اللغة، وكيف أنّ الخطابَ يكشفُ عن بنية الذهن، فالبنية اللغوية لها تماثل كبير مع البنية الذهنية التصورية، وما انسجام الخطاب إلا صورة كاشفة عن انسجام التمثيل الذهنيّ، وهذا ما أكّده جاكندوف -مثلاً- حيث يرى أن العبارات الإحالية في اللغة الطبيعية هي" تلك العبارات التي ترسم علاقات التناظر بعبارات من البنية التصورية يمكن إسقاطها"(جاكندوف، 2010م، ص97)، إذا علمنا أن الخطاب ما هو إلا متوالية من الأقوال التي تُكوّنه، أي أنّه متوالية من الإحالات التي يستعملها المتكلم ويؤوّلها المتلقي، ونسبة مجموع تلك الأقوال والمقاصد للمتكلم يُحقق انسجامًا خطابيا – كما أشرنا وفق نظرية المناسبة-

ولعلّ سؤالاً يرد هنا: إذا زعمنا أنّ الانسجام اللغوي في الخطاب هو في الأصل انسجام في التصورات، فهل انبناء التصورات اعتباطيٌّ أم هو مبرر؟ أو بتعبير أوضح: كيف تنشأ تلك

التصوّرات؟ هذا التساؤل أولاه العرفانيون عنايتهم، وجعلوا من فكرة "استعارية التصورات المجردة" ركيزةً مهمّةً من الركائز الفلسفية للاتجاه العرفانيّ، ومن أهم النتائج التي توصّل إليها العلم المعرفيّ؛ لذلك فإنّ نشوء التصورات لا يمكن أن يكون اعتباطيًّا كليًّا، بل إن أنسقة تصوراتنا تعتمد على مشتركات الجسد والبيئات الاجتماعية (لايكوف وجونسون، 2016م، ص37، 40)

وهنا يأتي دور محلل الخطاب بالبحث في تلك التصورات الإحاليّة، إذ إنّ التصوّرات تُبنى من خلال المناويل العرفانية -بحسب اصطلاح لايكوف- أي إنّ البنية التصوّرية تكتسب معناها من خلال معطيات عدّة من قبيل المقولة الذهنية والتجربة والبيئة الاجتماعية (لايكوف، 2012م، ص ص325-326)، فلا يمكن التوصّل إلى مفهوم الإحالة اللغوية إلاّ عبرَ فهم جيد لتلك المناويل العرفانية.

فالخطاب متأسس على متوالية من الأقوال وإحالات تصورية ذات نسق استعاريّ، ووظيفة محلل الخطاب معرفة ماهيّة تلك الإحالات، وهذا في حقيقته قد يبدو أمرًا معقّدا؛ ذلك لأنّ النصَّ الاستعاري يُحيل على مصدرٍ ما، وعلى المتلقي أن يكتشف ما تحيل العبارة عليه. (يُتظر: جاكندوف، 2019م، ص269).

بيد أنّ المشكلة قد تكمن في اختلاف التمثيل اللغوي لمفهوم واحد، أي حينما تتعدد الاستعارات في الخطاب كيف يُعدّ منسجمًا والتعبيرات اللغوية مختلفة؟ هذا التساؤل تنبّه له كل من لايكوف وجونسون، وبيّنا أنّه قد لا تشترك الاستعارتان مثلاً في صورة متلائمة منطقيًّا إلا أنهما قد تتوافقان باعتبارهما مقولتين فرعيتين داخل مقولة رئيسة وبهذا تشتركان في اقتضاء مهم وتكونان منسجمتين. (لايكوف وجونسون، 2009م، ص62)، أي أنّ الاشتراك في الاقتضاء[1] presupposition كاشف عن الانسجام بين الاستعارات المتعددة

والجدير بالملاحظة أن لايكوف وجونسون قد ميّزا ما بين التلاؤم والانسجام في الاستعارة الواحدة، إذ يحصل التلاؤم إذا كان التصور بين استعارتين متطابقًا بشكل تام، بيد أن

[1] - عرّف «ستالينكار» "الاقتضاء التداوليّ" على النحو التالي: "تُعتبر قضيّة "ق" اقتضاءً تداوليًّا لمتكلّم ما، في سياقٍ معيّن، إذا تبنّى المتكلّم "ق" أو اعتقد أنّ "ق"، وإذا تبنّى أو اعتقد أنّ مخاطبه يتبنّى أو يعتقد أنّ "ق"، وإذا تبنّى أو اعتقد أنّ مخاطبه يعترف بأنّه يقوم بهذه الفرضيّات أو له هذه الاعتقادات". (روبول وموشلار، 2010م، ص250)

الانسجام هو اشتراك في الاقتضاء، أي أن يكون الهدف واحدًا، والمصدرُ متعدّدًا متداخلاً في الاقتضاءات، وأشارا إلى أن التلاؤم بين الاستعارات نادر، بينما الانسجام فنموذجي. (لايكوف وجونسون، 2009م، ص110)

فاختلاف التعبير اللغوي الاستعاري قد يكون اختلافًا داخل مقولة واحدةٍ، أي أنّنا بإمكاننا أن نُسقط كيانات متعددة من مجال المصدر -إذا كانت تشترك في استلزامها القضويّ- ونُحيلها على مجال الهدف؛ ذلك لأنّ الإحالةَ بطبيعتها هي عملية استعارية استدلاليّة، تُجلي للمتلقي كيفية فهم الذات المُمَقولِة للأشياء. وإنّ هذه الإحالة المتعددة في مجال المصدر المتداخلة في الاقتضاءات هي التي تمنح الخطاب الانسجام.

وبناء على ذلك فإنّ الانسجام الذهني المتمثل في انسجام الاقتضاءات في الإحالات الاستعارية التصورية على الرغم من تعددها، ينعكس على التعبيرات اللغوية بصورة لاواعية ومن خلالها ينكشف لمحلل الخطاب كيفية فهم الذهن وتنظيمه للأشياء، فاللغة هي نسق ذهني. وقد أكّد العرفانيون ذلك المعنى، من خلال ما ذهبوا إليه من أنّ الاستعارة التصورية هي انبناءٌ لغويّ وفق نسق ذهنيّ، وأنّ التمثيلات الذهنية هي مثل التمثيلات اللغوية تمامًا (ريكاناتي، 2016م، ص92)

أما عن كيفية الاستدلال على انسجام الخطاب مع تعدد البنى اللغوية، فقد أشار «لايكوف» و«جونسون» إلى عناصر مهمّة تكشف عنها الانسجامات بين بِنى استعارية متعددة لتصور واحد، ومن ذلك: (لايكوف وجونسون، 2009م، ص110)

- تلعب الاقتضاءات الاستعارية دورًا جوهريًّا إذ تربط بين البنى الاستعارية المختلفة لتصور واحد.
- يمكن أن يُقيم اقتضاء استعاري مشترك توافقا بين الاستعارات.
- تخدم البَنْيِنات الاستعارية لتصور ما أغراضًا مختلفة عن طريق تسليط الضوء على مظاهر مختلفة لهذا التصور.
- حين يكون لدينا تداخل في الأغراض يكون لدينا تداخل في الاستعارات.

كيف أسهمت الإحالات التصورية في انسجام الخطاب؟ خطاب الذات أنموذجًا

للذات معانٍ عدّة مختلفة لدى الباحثين قديمًا وحديثًا، وتكاد تُجمع القواميس على أنها تعني جسم الإنسان وتصوراته، حيث يذكر صاحب "التعريفات أن الذات تشمل الجوهر

والعرض فتُطلق على الجسم وغيره. (الجرجاني، 1983م، ص107)، فكلُّ ما يبيّن حقيقة الموجود من الصفات والأعراض فهي داخلة في معنى الذات، ونلحظ التهانوي يسرد عدّة معانٍ لمصطلح الذات، فقد قيل هو الجسم، أو هو الجسم والعرض، أو هو الموضوع ويقابله المحمول. (التهانوي، 1996م، ج1، ص ص 816-817).

والذات في علم النفس مرادف للشعور، ويرى شارل رونوفييه أن الذات هي الموجود الشعوري، بخلاف الأنا التي تُعنى بالخصائص الفردية، إلا أن وليم جيمس يرى أن الذات ضرب من الأنا، فهي تشكل كل ما هو "أنا"و "لي"، أما فرويد فيرى أن الذات هي الجزء اللاشعوري من الأنا. وفي التجربة الداخلية والسلوك الإنساني ما يقودنا إلى الذات، من قبيل حوار الفرد مع وجدانه، وجهد الفرد ليكون هو ذاته أو مختلفا عن الآخرين، والعواطف، والشك، وغيرها.(سيلامي، 2001م، ج3، 1121-1123)

فالمشاعرُ والعواطف والحالات الذهنية الإنسانية -وفقًا لعلم النفس- هي تمثيلٌ للذات وكينونتها في هذا العالم، فليست الذات هي الجسم المادي فحسب، بل تشمل تصورات ذلك الجسم ورغباته وغيرها من مقومات ماهية ذلك الموجود.

وحين نستعرضُ خطاب الذات في نماذج من ديوان "ينابيع الظمأ" لعدنان العوامي نُلفي الشاعر يحيل على ذاته مجالات تصورية؛ نحاول فيما يلي أن نستكنه كيفية فهمه لذاته، وعمدنا في ذلك لاختيار نماذج من نصوص مختلفة، لنختبر نجاعةَ دور الإحالات التصورية في عملية انسجام الخطاب، ولنستكشف أثر الإسقاطات التصورية غير المتلائمة لغويا المشتركة في الاقتضاءات، في بناء مقولة واحدة منسجمة ذهنيًا، مما ينتج عنها انسجام لغوي في الخطاب.

فمثلاً يقول الشاعر: (العوامي، 2017م، ص40)

أصادحتي، بعد الأوانِ أتيتِني ... وقد نالت الأيّامُ منّي ومن بأسي
فكيف ستهديني خُطاي لموعدٍ ... وبي أَنَفٌ ينأى عن الإثمِ والرجسِ؟
وقلبٌ تجافى الحبَّ إلاّ مطهّرًا ... وعينٌ تأبّت منه إلا الهوى القُدسي

فهنا نلحظ ذات الشاعر تتبدى بوصفها ذاتًا منزهةً عن الإثم والرجس، ومنغمسةً في الطهارة والهوى القدسي. والطهر هو النقاء وزوال الدنس، والطهور من أسماء الماء (مقاييس اللغة، مادة طهر)

ويقول في نص آخر: (العوامي، 2017م، ص44)

وكما يشاء لك الصِّبا الـ فتَّانُ يا أغلى المِلاحِ
هاديْهِ من طُهر الصَّبا بَةِ والهَوى راحًا براحِ
وتقاسما نِعَمَ الشبا بِ على رضِيِّ هوىً مُباحِ

فالشاعر يخاطب محبوبته بأن تبادله الصبابة والهوى البعيدين عن الدنس. وأن تتقاسم معه لذة الشباب بالهوى المباح.

ويقول في نص آخر: (العوامي، 2017م، ص46)

لكم لفَّقَ الواشونَ عنّي وزيّفوا فأُقصوصةٌ تُتلى وأُكذوبةٌ تُروى
ولكنّني ما زلتُ في عصمة الهوى على راسخ الإيمانِ والطُّهرِ والتقوى
وطيفُكِ ما ينفكُّ يرتاد خاطري وما فتِئتْ ذكراكِ في راسخِ المثوى

حيثُ يردُّ الشاعر على أكاذيب الوشاة بأنه في عصمة الهوى على طهر راسخ، وأنّ حبه لمعشوقته طاهر لا يفارق ذاكرته وخاطره.

ويقول في نص آخر: (العوامي، 2017م، ص ص103-104)

طفت البحارَ ذرعتُ الأرضَ محتقبًا قلبي، أفتّشُ عن حبٍّ فلم أجدِ
وعُدتُ مِزْقةَ آمالٍ مهرَّأةٍ بعد المطافِ، مدمَّى الروحِ والجسدِ
فكنتِ طوقَ نجاتي، أيُّ معجزةٍ بعد الضلالِ أعادتني إلى رشَدِي

حيث تتجلى الذات الشاعرة هنا باحثةً عن الرشَدِ هاربةً من الضلال بعد أن كانت مشتتة تائهة.

ويقول أيضًا: (العوامي، 2017م، ص130)

كذا نحن، مسكوبٌ على الناسِ ودُّنا إذا ضنَّ دهرٌ أن يسوغَ بهِ وُدُّ

فالوداد الذي يسكن قلب الشاعر ماء مسكوب ذو نقاء

ويقول أيضًا: (العوامي، 2017م، ص133)

كذا هي عاداتُ النخيلِ، قلوبها صفاءٌ وتَحنانٌ، وهاماتها جُرْدُ
إذا اعتدَّ أهلُ المقتِ بالمقتِ شيمةً أتت تتباهى بالودادِ، وتعتدُّ

إذ يريد الشاعر بعادات النخيل الكناية عن بيئة الشاعر التي تُغطيها النخيل لكثرتها، وهي بيئة تحمل صفاء في القلوب، واعتزازًا بالتودد للآخرين.

من خلال النصوص السابقة يتجلّى لنا أنّ المستوى المقوليّ القاعديّ يتمثّل في استعارة (الذاتُ طُهر ماءٌ ذو نقاءٍ)، إلاّ أنّ المستويات الفرعيّة (التعابير اللغوية المتعددة) بدت فيها الاستعارات مختلفة في الصياغة اللغوية، أي ليست متلائمة منطقيًّا -بحسب تعبير لايكوف وجونسون-، إلاّ أنّ هذا الاختلاف الصياغي اللغوي يبدو مشتركًا في الاقتضاءات في مجال المصدر المُسقَط، كما يبيّنه الجدول التالي:

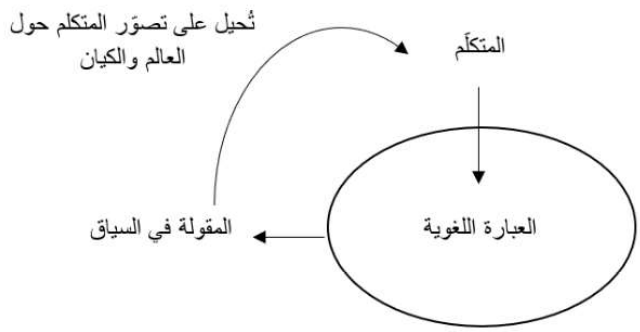
المستوى	العبارة	الميدان/الهدف	الميدان/المصدر
القاعديّ	الذات طُهرٌ/ ماء ذو نقاء	الذات	ماء ذو نقاء
الفرعيّ	بي أنف عن الرجس	أنا	طاهر/أعلى من الرجس
	قلبي تجافى عن غير الحب المطهر	حُبّ قلبي	مطهّر نقيّ
	عيني لا ترى إلا الهوى القدسي	هواي	قدسيّ/ طاهر
	هاديه من طهر الصبابة	صبابتي	طاهرة
	ما زلت في عصمة الهوى الطاهر	هواي	معصوم مطهر عن الدنس
	أعادتني إلى رشدي	كينونتي	الرشد/ الطهر
	مسكوب على الناس ودنا	ودادي	ماء نقي مسكوب
	عادات النخيل قلوبها صفاء	قلبي	صفاء وطهر

هنا نلفي الذات وتشاكلاتها (هوى القلب، الصبابة، الوداد، الكينونة) ميدانًا هدفًا أسقط عليه الشاعرُ كيانات استمدّها من التجربة والثقافة بوصفها ميدانًا مصدرًا (أنف عن الرجس، الحب المطهر، الهوى القدسي، طهر الصبابة، عصمة، الرشد، الانسكاب، الصفاء)، حيث يبدو لنا أنّ ثمة اقتضاءات مشتركة، وكذلك "ثمة تعالقات نسقية عبر المجالات التصورية في استخدام نماذج استنتاج المجال المصدر من أجل استنتاجات المجال الهدف. إن هذا التعالق النسقي هو بالضبط ما يفسر استعمال ألفاظ المجال المصدر

لتسمية تصورات المجال الهدف." (لايكوف وجونسون، 2018، ص140)، إذ يبدو التعالق النسقي جليًّا من خلال التعالق في الاقتضاءات المشتركة.

إن الاشتراك الاقتضائي في ألفاظ الميدان المصدر يدلّ على الانسجام الذهني للشاعر في فهمه للذات، وما ذلك إلاّ لأن استعارة (الذات نقاءٌ وطهر) تبدو لمحلل الخطاب بوصفها استعارة أوّلية، ومن وجهة نظر تصورية، فإن الاستعارة الأولية -كما يرى العرفانيون- "تحافظ على الاستنتاج وتحافظ أحيانًا على التمثيل المعجمي" (لايكوف وجونسون، 2018، ص103)، وهذا ما يُفسّر تكرار نسوخ هذه الاستعارة الأولية بصياغات متعددة في نصوص مختلفة ومتباعدة زمنيا ومتباينة من حيث الغرض؛ لأنّها تمنح الذهن انسجامًا لاواعيًا أي أنّ الذهن يبني تمثيلاته الذهنية وينظمها بصورة آلية دون أدنى تفكير.

تبدو لنا الإحالة التصورية[1] في النماذج التي أوردناها ليس فيها تلاؤم لغوي دقيق، لكنها ذات انسجام نموذجيّ، إذ نلحظ أنّ الإحالةَ انبناءٌ ذهنيٌّ رسمه تفكيرُ الشاعر وفَهِمَه المؤوّلُ، فالشاعر يُحيل بوساطة اللغة على الكيان/ ذاته في العالم الخارجيّ ولكن كما يتصورها هو،



الشكل: خُطاطة الإحالة التصوّرية

حيث بنى تصوّرَه حول (ذاته) بوساطة العبارات اللغوية في النصوص أعلاه ضمن سياقات متعددة من خلال تصورات الميدات المصدر (الطهارة) وتشاكلاتها: العصمة والقدسية والرشَد والصفاء والانسكاب النقيّ، كما تبينه الخُطاطة التالية:

---

[1] - يُوضح محمد غاليم فكرة الإحالة التصورية عبر التصور التالي: "يحكم المتكلم (م) في اللغة (ل) على العبارة (ع)، المقولة في السياق (س)، بأنّها تُحيلُ على الكيان (ك)، في العالم كما يتصوره (م)" (غاليم، 2010م، ص21)

إنّ دلالة (الذات) في نصوص العواميّ لا يمكن فهمها جيّدًا بوساطة العودة إلى المعاجم اللغوية فحسب، بل إنّها دلالة تصورية موسوعية؛ لذا فهي تتضمن المعنى المعجمي إزاء الذريعيات والفهم الإدراكي والمعرفة المجسدة والتفكير والفهم الاجتماعي الثقافي (يُنظر: جاكندوف وآخرون، 2007م، ص19)

لأنّ التصور الاستعاري يُبنيِن الطريقة التي نفهم بها ما نفعله ولو جزئيًّا (لايكوف وجونسون، 2009م، ص23) وخطاب الذات في شعر العوامي يكشف عن نسق ثقافيّ يتمثّل في فهم الشاعر لوجوده داخل أطر القيم والمثُل، فالطهارةُ هيَ القالب الثقافي الإيديولوجي الذي يسيطر على لاوعي الشاعر نفسه، إذ إنّ الاستعارات التصورية قد تصنع قوالب ثقافية تحكم وعي الفرد والمجتمع فلا يستطيع التحرك إلا داخل حدودها فقط، وهي قوالب افتراضية مشتركة مسلّم بها لدى مجموعة مجتمعية وتلعب دورًا مهمًّا في فهمهم لهذا العالم وسلوكهم داخله. (التركي، 2019م، ص72)

هذه الإحالات التي استدللنا بها على انسجام الخطاب وفقًا لانسجامٍ ذهنيّ لاواعٍ، تمثل إستراتيجية تأويلية لدى المتكلم حيث يُحيل يفهم ذاته من خلال ذلك النسق الثقافي، ولدى المتلقي المؤوّل حيث يُوجِد رابطًا بين تلك الإحالات يُضفي الانسجام على تفكير المتكلم ولغته، ذلك لأن "متتاليةً من الأقوال تكون منسجمةً فتمثّل خطابًا حسن الصياغة إذا وفقط إذا وُجد تأويل يُمكّن من ربط علاقة بين تلك الأقوال" (روبول وموشلار، 2010م، ص ص495-496)

خاتمة:

إنّ الانسجام في الخطاب -من منظور النظرية العرفانية- ليس انسجامًا نصيًّا فحسب، وإنّه وإن كانت الروابط والإحالات الضميرية ذات أهمية بالغة في جعل مُتتاليةٍ من الجمل منسجمةً، إلاّ أنّها غير كافية لتحقيق الانسجام النصيّ فضلاً عن الانسجام الذهنيّ؛ لذا فإنّ ما ذهبت إليه العرفانية – وفق نظرية المناسبة- من أنّ الإحالات التصورية بمجموعها وإسناد مقاصدها إلى المتكلم هيَ التي تمنح الخطابَ الانسجامَ، وذلك من خلال عملية تأويلية تداوليّة، فكلّما سَهُلت كُلفة إسناد تلك المقاصد بمجموعها وإحالتها على المجال الهدف، ازدادَت قناعتنا بانسجام ذلك الخطاب.

وقد ألفينا أنّ الإحالة التصورية هيَ الطريق الناجع لاكتشاف مدى انسجام الخطاب، فلم تعد الدلالة المعجمية وحدها كافية لاختبار الانسجام النصيّ، بل إنّ الذات المتكلمة هي ذات تأويلية لها فهم خاص ومشترك حول ذاتها والعالم من حولها، وهذا الفهم لابد أن ينعكس بصورة لاواعية على العبارات اللغوية، مهما تباعدت أزمنة الخطاب ومناسبات الأقوال، فإنّ الإحالة التصورية الاستعارية تحكم وعي الفرد، وتؤثر على خطاباته.

وقد اتضح لنا ذلك من خلال المقاربة المقتضبة لخطاب الذات في شعر العوامي، ووفقًا لما تبنّاه روبول وموشلار من أنّ الانسجام العرفاني قد يتضح من خلال جملتين على الأقل، لأنّ النسق الذهنيّ هو نسق منسجم ولاواعٍ، لذلك ستنعكس نسوخ الاستعارة المركزية (الذات طاهرة) على أغلب إحالات الشاعر في العديد من نصوصه الشعرية، وهذا ما برهن عليه التحليل الآنف الذكر، حيثُ تبيّن لنا أنّ مجموع هذه الإحالات على الرغم من اختلافها اللغويّ إلاّ أنّها تشترك في الاقتضاءات والتأويل؛ ممّا دلّل على أنّ الإحالة التصورية هي الأكثر نجاعةً في الاستدلال على انسجام الخطاب.

المصادر:

1- إيفانز، فيفان وجرين، ميلاني. (2017). ما هو علم الدلالة الإدراكي؟. ترجمة: أحمد الشيمي. مجلة فصول- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ع100

2- براون، ج.ب ويول، ج. (1997). تحليل الخطاب. ترجمة وتعليق: محمد الزليطني ومنير التريكي. ط1. دار جامعة الملك سعود للنشر. الرياض

3- بركلي، هربيرت. (2013). مقدمة إلى علم الدلالة الألسني. ترجمة: قاسم مقداد. ط1. دار نينوى. دمشق

4- البوعمراني، محمد الصالح. (2009). دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني. ط1. مكتبة علاء الدين. صفاقس

5- التركي، إبراهيم بن منصور. (2019). دراسات في البلاغة الإدراكية. ط1. نادي القصيم الأدبي. السعودية

6- التهانوي، محمد بن علي. (1996). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. تحقيق: علي دحروج. مراجعة: رفيق العجم. ط1. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت

7- جاكندوف، راي. (2010). علم الدلالة والعرفانية. ترجمة: عبدالرزاق بنور. ط1. منشورات دار سيناترا. المركز الوطني للترجمة. تونس

8- جاكندوف، راي. (2019). دليل ميسّر إلى الفكر والمعنى. ترجمة: حمزة المزيني. ط1. دار كنوز المعرفة. الأردن

9- جاكندوف، راي. (2020). اللغة والوعي والثقافة، أبحاث في البنية الذهنية. ترجمة: محمد غاليم. ط1. دار الكتاب الجديد. ليبيا

10- جاكندوف، وآخرون. (2007). دلالة اللغة وتصميمها. ترجمة: محمد غاليم وآخرين. ط1. دار توبقال للنشر. المغرب

11- الحسني، عبدالكبير. (2020). الدلالة المعرفية ومشروع بناء هندسة للمعنى. ط1. دار كنوز المعرفة. الأردن

12- خطابي، محمد. (1991). لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب. ط1. المركز العربي الثقافي. بيروت

13- روبول، آن وموشلار، جاك. (2003). التداولية اليوم، علم جديد في التواصل. ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني. ط1. المنظمة العربية للترجمة. بيروت

14- روبول، آن وموشلار، جاك. (2010). القاموس الموسوعي للتداولية. ط2. ترجمة: مجموعة من الأساتذة. بإشراف عز الدين المجدوب. دار سيناترا. المركز الوطني للترجمة. تونس.

15- روبول، آن وموشلار، جاك. (2020). تداولية الخطاب، من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب. ترجمة: لحسن بوتكلاي. ط1. دار كنوز المعرفة. الأردن

16- الرويلي، ميجان والبازعي، سعد. (2002). دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًّا معاصرًا. ط3. المركز الثقافي العربي. المغرب

17- ريكاناتي، فرانسوا. (2016). فلسفة اللغة والذهن. ترجمة: الحسين الزاوي. ط1. ابن النديم للنشر. الجزائر

18- ريكاناتي، فرانسوا. (2016). فلسفة اللغة والذهن. ترجمة: الحسين الزاوي. ط1. ابن النديم للنشر-الجزائر

19- الزناد، الأزهر. (2010). نظريات لسانية عرفنية. ط1. دار محمد علي للنشر. تونس

20- الزناد، الأزهر. (2011). النص والخطاب، مباحث لسانية عرفنية. ط1. دار محمد علي للنشر. تونس

21- سبيربر، دان وولسون، ديدري. (2016). نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك. ترجمة: هشام الخليفة. ط1. دار الكتاب المتحدة. ليبيا

22- سيلامي، نوربير. (2001). المعجم الموسوعي لعلم النفس ترجمة: وجيه أسعد. ط1. منشورات وزارة الثقافة. دمشق

23- سيمينو، إيلينا. (2013). الاستعارة في الخطاب. ترجمة: عماد عبداللطيف وخالد توفيق. ط1. المركز القومي للترجمة. القاهرة

24- الشريف الجرجاني، علي. (1983). التعريفات. تحقيق جماعة من العلماء. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت

25- العامري، عبدالعالي. (2017). عن أسس الاستعارة الفضائية. مجلة اللسان العربي. تونس. ع78

26- العصيلي، عبدالعزيز بن إبراهيم. (2023). المعجم الموسوعي لمصطلحات اللسانيات التطبيقية. مراجعة: محمود إسماعيل. ط1. مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية. الرياض

27- العوامي، عدنان السيد محمد. (2017). ينابيع الظمأ. ط1. أطياف للنشر. القطيف السعودية

28- غاليم، محمد. (2010). المعنى والإحالة في الإطار التصوري. مجلة أبحاث لسانية، جامعة محمد الخامس- معهد الدراسات والأبحاث للتعريب- المغرب، ع27/ 28، ديسمبر

29- فاركلوف، نورمان. (2009). تحليل الخطاب، التحليل النصي في البحث الاجتماعي. ترجمة: طلال وهبة. ط1. المنظمة العربية للترجمة. بيروت

30- لايكوف، جورج وجونسون، مارك. (2009). الاستعارات التي نحيا بها. ترجمة: عبدالمجيد جحفة. ط3. دار توبقال للنشر. المغرب

31- لايكوف، جورج وجونسون، مارك. (2018). الفلسفة في الجسد، الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي. ترجمة عبدالمجيد جحفة. ط1. دار الكتاب الجديد. ليبيا

32- لايكوف، جورج. (2012). نساء ونار وأشياء خطيرة: ما تكشفه المقولات حول الذهن. ضمن كتاب (إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين). مختارات معربة. ترجمة: مجموعة من الأساتذة. ط1. المجمع التونسي للعوم والآداب والفنون. تونس

33- ورين، تشس. (2017). منطق الصدق. ترجمة: بدوي عبدالفتاح. ط1. المركز القومي للترجمة. القاهرة